سورة الفرقان

٧٢- قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴿١٨﴾ ﴾

القراءة: قراءة الجمهور: " أن نَّتَّخِذَ " بفتح النون وكسر الخاء على البناء للفاعل. وروى الحاكم في مستدركه أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ: " أن نُّتَّخِذَ " بفتح النون وكسر الخاء، فقال الحاكم: حدَّثنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان الزاهد، ثنا علي ابن الحسين بن الجنيد المالكي بالري، ثنا سويد بن سعيد الأنباري، ثنا الوليد بن جندب، ثنا بكر بن خنيس، عن محمد بن سعيد، عن عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن بن غنم، قال: سألت معاذاً عن قوله: " ما كان ينبغى لنا أن نتخذ أو نتخذ، قال: سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، يقرأ: " أن نُّتَّخِذَ من دونك " بنصب النون[1]. قلت: إذن القراءة المروية عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قراءة صحيحة

---

(١) أخرجه الحاكم في: كتاب التفسير، باب قراءات النبي، صلى الله عليه وسلم، مما لم يخرجاه وقد صح سنده جـ ٢ / ٢٤٧ وقال: لم نكتب الحديث إلا بهذا الإسناد إلا أن محمد بن سعيد الشامي، ليس من شرط الكتاب، وقال الذهبي: هو المصلوب، هالك، وبكر متروك قلت: إسناده مظلم فيه محمد بن سعيد المسيب المصلوب، دمشقي هالك، اتهم بالزندقة فصلب، وقال النسائي: غير ثقة ولا مأمون متروك الحديث.، انظر: المجروحين لابن حبان جـ٢/ ٢٤٧/٢٤٨/٢٤٩ وميزان الاعتدال جـ٣/ ٥٦١/ ٥٦٢، والضعفاء والمنزوكين للنسائي ص: ٢١٣ رقم ٥٤٣ والضعفاء لابن الجوزي جـ٣/٦٥ .

متواترة فقد قرأ بها جمهور القُرّاء والمفسرين. وقرأ عبد الرحمن السلمي، وابن جبير، والحسن، وقتادة، وأبو جعفر، وابن يعمر، وعاصم الجحدري " أن نُتَّخَذ " برفع النون وفتح الخاء [٢].

التوجيه والتفسير: قال الشوكاني: أي ما صح ولا استقام لنا أن نتخذ من دونك أولياء فنعبدهم، فكيف ندعو عبادك إلى عبادتنا نحن مع كوننا لا نعبد غيرك، والوليّ يطلق على التابع كما يطلق على المتبوع، هذا معنى الآية على قراءة الجمهور "أن تتخذ " مبنياً للفاعل. وقرأ الحسن، وأبو جعفر " أن نُتَّخَذ " مبنياً للمفعول، أي: ما كان ينبغي لنا أن يتخذنا المشركون أولياء من دونك. قال أبو عمرو بن العلاء، وعيسى ابن عمر: لا تجوز هذه القراءة، ولو كانت صحيحة لحذفت من الثانية، قال أبو عبيدة: لا تجوز هذه القراءة، لأن الله سبحانه ذكر " من " مرتين، ولو كان كما قرأ، لقال: أن نتخذ من دونك أولياء، وقيل: إن " من " الثانية زائدة [٣]. وفى الإتحاف: واختلف في " أن نتخذ " فأبو جعفر بضم النون وفتح الخاء، مبنياً للمفعول، وهو يتعدى تارة لواحد نحو " أم اتخذوا آلهة من الأرض " وتارة لاثنين نحو " من اتخذ إلهه هواه ". فقيل: ما هنا منه، فالأول: ضمير" نتخذ " النائب عن الفاعل، والثاني: " من أولياء " و " من " تبعيضية، أي: بعض أولياء أو زائدة، لكن تعقب بأنها لا تزاد في المفعول الثانى، والأحسن ما قاله ابن جني وغيره: أن " من أولياء " حال، و " من " مزيدة لتأكيد النفي، والمعنى: ما كان لنا أن نعبد من دونك، ولا نستحق الولاية،

---

(٢) انظر: زاد المسير جـ ٦ / ٧٨، والكنز في القراءات العشر ص: ٢٠٧، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ٢٠٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٣ / ١٠ / ١١، وتفسير البحر المحيط جـ ٦ / ٤٤٧ / ٤٤٨ والدر المصون جـ٥/٢٤٧.

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني جـ ٤ / ٦٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٣ / ١٠ / ١١ والدر المصون جـ٥/٢٤٧.

وافقه الحسن، والباقون بفتم النون وكسر الخاء على البناء للفاعل، و " من أولياء " مفعوله، و " من " مزيدة، وحسَّن زيادتها انسحاب النفي على " نتخذ " لأنه معمول " لينبغي " وإذا انتفى متعلقة، وهو اتخاذ الأولياء (٤). وقد ذكر أبو حيان في تفسيره كل القراءات ومعناها وتوجيهها، وذكر آراء الشوكاني، وابن عطية، في أثناء تعرضه لهذه القراءات فقال: وقرأ الجمهور " أن نَتَّخِذَ " مبنياً للفاعل، و " من أولياء " مفعول على زيادة " من " وحَسَّن زيادتها انسحاب النفي على " نتخذ " لأنه معمول لينبغي، وإذا انتفى الابتغاء لزم منه انتفاء متعلقه، وهو اتخاذ ولي من دون الله، ونظيره، ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [سورة البقرة / ١٠٥]. أي خير. والمعنى: ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحداً دونك. وقال أبو مسلم: ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين، نريد الكفر، فنتولى الكفار، قال: ﴿ ... وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ... ﴾ [سورة البقرة / ٢٥٧]. وقرأ أبو الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبو رجاء، ونصر بن علقمة، وزيد بن علي، وأخوه الباقر، ومكحول، والحسن، وأبو جعفر، وحفص بن عبيد، والنخعي، والسلمي، وشيبة، وأبو بشر، والزعفراني " أن يُتَّخَذ " مبنياً للمفعول. واتخذ يتعدى تارة لواحد، كقوله: " أم اتخذوا آلهة من الأرض " ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ ﴾ [سورة الأنبياء / ٢١]. وعليه قراءة الجمهور. وتارة إلى اثنين كقوله: ﴿ قَ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ(٢٣) ﴾ [سورة الجاثية / ٢٣]. فقيل: هذه القراءة منه. فالأول: الضمير في نتخذ. والثاني: " من أولياء " ومن للتبعيض، أي ؛ لا يتخذ بعض أولياء وهذا قول الزمخشري، وقال ابن عطية: ويضعف هذه القراءة دخول من في قوله: " من أولياء ". في موضوع الحال، ودخلت "من " زيادة لمكان النفي المتقدم كما تقول: ما اتخذ زيد من

---

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ٣٠٦ / ٣٠٧، وتفسير البحر المحيط جـ ٦ / ٤٤٧ / ٤٤٨ .

وكيل، وقيل: " من أولياء " هو الثاني على زيادة " من "، وهذا لا يجوز عند أكثر النحويين، إنما يجوز دخولها زائدة على المفعول الأول بشرطه، وقرأ الحجاج " أن نُتَّخَذ من دونك أولياء " فبلغ عاصماً، فقال: مقت المخدّج، أو ما علم أن فيها من " [٥].

قلت: إذن القراءة " أن نُتَّخَذَ " بضم النون وفتح الخاء شاذة، فقد أنكرها أبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، فقالا: لا يجوز " أن نُتَّخَذ "، وكذلك قال أبو عبيدة لا يجوز، وقال النحاس: ومثل أبي عمرو على جلالته ومحله يستحسن ما قال، لأنه جاء ببينة وشرح ما قال: فقد قال: لو كانت " نُتَّخَذ " لحذفت " من " الثانية، فقلت: أن نُتَّخِذ من دونك أولياءَ، كذلك قال أبو عبيدة لا يجوز " نُتَّخَذ " لأن الله تعالى، ذكر "من" مرتين " ولو كان كما قرأ " أن نُتَّخَذ من دونك أولياء " وقيل إن " من " الثانية صلة[٦]. وقد ضعَّف ابن عطية، وأبو حيان، وغيرهما، هذه القراءة. وقال أبو عمرو ابن العلاء، وعيسى بن عمر، وأبو عبيدة: لاتجوز هذه القراءة: كما ذكرت سابقاً. وقال الفراء: والقُرّاء مجتمعة على نصب النون في " نَتَّخِذَ " إلا أبا جعفر المدني فإنه قرأ "نُتَّخَذَ " بضم النون، " من دونك " فلم تكن في الأولياء " من " كان وجهاً وجيهاً، وهو على شذوذه قلّة من قرأ به، قد يجوز على أن يجعل الاسم في " من أولياء " وإن كانت قد وقعت فى موقع الفعل، وإنما آثرت قول الجماعة، لأن العرب إنما تُدخل "مِن" في الأسماء لا في الأخبار، ألا ترى أنهم يقولون: ما أخذت من شئ، وما عندى من شيء، ولا يقولون: ما رأيت عبد الله من رجل، ولو أرادوا ما رأيت من رجل عبد الله، فجعلوا عبد الله هو الفعل جاز ذلك، وهو مذهب أبي جعفر المدني [٧].

---

(٥) انظر: تفسير البحر المحيط جـ ٦ / ٤٤٧ / ٤٤٨، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ٣٠٦ / ٣٠٧، وتفسير الكشاف جـ ٣ / ٢٧٠، والمحرر الوجيز جـ ٤ / ٢٠٤.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٣ / ١٠ / ١١.

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء جـ ٢ / ٢٦٤.

٧٣ - قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾

القراءة: قراءة العامة " قرة أعين " على الإفراد، وروى ابن خالويه، وابن جني، والزجاج، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ: " قُرَّاتِ أَعْيُنٍ " على الجمع بالألف وكسر التاء. وقرأ أبو هريرة، وابن مسعود، وأبو الدرداء، وعون العقيلي، وأبو حيوة على الجمع بالألف والتاء " قُرَّات أعين "(٨). قلت: قراءة الجمع قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف وحذف إسنادها وعدم تواترها .

التوجيه والتفسير: وحجة من قرأ " قرة أعين " على الإفراد، لأن القرة مصدر والمصدر لا تكاد تجمعه ؛ لأن المصدر اسم جنس، والأجناس أبعد شيء عن الجمعية لاستحالة المعنى في ذلك. وقال الزمخشري: لم قال: " قرة أعين " فنكر وقلل ؟ قلت: أما التنكير، فلأجل تنكير القرة، لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه، كأنه قيل: هب لنا منهم سروراً وفرحاً، وإنما قيل " أعين " دون عيون، لأنه أراد عيون المتقين، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم. قال الله تعالى: " وقليل من عبادي الشكور ". ويجوز أن يقال في تنكير " أعين " أنها أعين خاصة وهى أعين المتقين. وقال الفراء: والوجه القليل " قرة أعين " لأنه فِعْل والفعل لا يكاد يجمع، ألا ترى أنه قال: " لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً " [سورة الفرقان / ١٤]، فلم يجمعه وهو كثير، والقُرَّةُ: مصدر، تقول: قَرَّت عينك قُرّةً، وسئل الحسن عن قوله

---

(٨) انظر: مختصر شواذ القرآن ص: ١٠٧، والمحتسب جـ ٤ / ١٧٤، والكشاف جـ ٣ / ٢٩٦، والمحرر الوجيز جـ ٤ / ٣٦٣، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١٩ / ٦٧ ، وزاد المسير جـ ٦ / ١١١، وتفسيرالبحر المحيط جـ ٦ / ٤٧٤، والدر المصون جـ ٩ / ٨٧، وإعراب القراءات الشواذ جـ ٢ / ٢٠٧، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ ٤ / ٢٠٧ .

"قرة أعين " في الدنيا أم في الآخرة ؟ قال: لا، بل في الدنيا، وأيُّ شئ أقرُّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده يطيعون الله، والله ما طلب القوم إلا أن يطاع الله فتقرّ أعينهم. وحجة من قرأ " قرات أعين " على الجمع. فقد جعلت القرة هنا نوعاً، فجاز جمعها كما تقول: نحن في أشغال، وبيننا حروب، وهناك أحزان وأمراض، وحَسن لفظ الجمع هنا أيضاً إضافة القُرّات إلى لفظ الجماعة، أعني " الأعين " فقولنا إذاً "أشغال القوم " أشبه لفظاً من أشغال زيد، وكلاهما صحيح. غير أن فيه ما ذكرته، وليس ينبغى أن يحتقر في هذه اللغة الشريفة تجانس الألفاظ، فإن أكثرها دائر عليه في أكثر الوقت. وقيل في تفسيرها: من يعمل بطاعتك فتقرّ به أعيننا في الدنيا والآخرة. وقال الفراء: ولو قرئت " قُرّات أعين " لأنهم كثير، كان صواباً [٩]. وقال أبو حيان مبيناً معنى قوله تعالى: " قرة أعين " كناية عن السرور والفرح، وهو مأخوذ من القر، وهو البرد، يقال: ومع السرور بارد، ودمع الحزن سخن، ويقال: أقر الله عينك، وأسخن الله عين العدو، وقال أبو تمام :

٤٨- فأمَّا عُيُونُ الْعَاشِقِينَ فأَسْخَنَتْ

وأمَّا عُيُونُ الشامتين فَقَرَّتِ[١٠]

وقيل: هو مأخوذ من القرار، أي يقر النظر به، ولا ينظر إلى غيره، وقال أبو عمرو: وقرة العين، النوم، أي: آمناً، لأن الأمن لا يأتي مع الخوف، حكاه القفال، "وقرة العين" فيمن ذكروا رؤيتهم مطيعين لله، قاله ابن عباس، والحسن، والحضرمي، وكانوا في أول الإسلام يهتدي الأب، والابن كافر، والزوج والزوجة كافرة، وكانت

---

(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ ٤ / ٧٨، ومعاني القرآن للفراء جـ ٢ / ٢٧٤، والمحتسب جـ ٢ / ١٧٤، والكشاف جـ ٣ / ٢٩٦، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١٩ / ٦٧، وزاد المسير جـ ٦ / ١١١، وتفسير البحر المحيط جـ ٦ / ٤٧٣ / ٤٧٤ .

(١٠) انظر ديوانه جـ١/ ٢٠٠، والبحر المحيط جـ٦/ ٤٧٣ .

قرة عيونهم في إيمان أحبابهم، وقال ابن عباس: قرة عين الولد أن تراه يكتب الفقه، والظاهر: أنهم دعوا بذلك ليجابوا في الدنيا فيسروا بهم، وقيل: سألوا أن يلحق الله بهم أولئك في الجنة ليتم لهم سرورهم. وقرأ عبد الله، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، "قرات أعين" على الجمع، والجمهور على الإفراد، ونكرت القرة لتنكير الأعين، كأنه قال: هب لنا منهم سروراً وفرحاً، وجاء أعين بصيغة جمع القلة، دون عيون الذي هو صيغة جمع الكثرة، لأنه أريد أعين المتقين، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم. قاله الزمخشري وليس بجيد، لأن أعين تنطلق على العشرة فما دونه من الجمع، والمتقون ليست أعينهم عشرة بل هي عيون كثيرة جداً، وإن كانت عيونهم قليلة بالنسبة إلى عيون غيرهم، فهي من الكثرة بحيث تفوت العد[١١].

(١١) انظر: تفسير البحر المحيط جـ٦ / ٤٧٣ / ٤٧٤ والدر المصون جـ٥/٢٦٦.